الأهرام

المصدر : الوسط

التاريخ : ١ اكتوبر ٢٠٠١

الأفغان اللبنانيون في عين العاصفة: التجنيد والتمويل والعمليات

بيروت – باسم البكّور

فجأة وجد لبنان نفسه في قلب «الحدث الأميركي» وتداعياته. فهو من جهة، خسر بعض أبنائه المغتربين في التفجيرات الأميركية، وهو من جهة ثانية كان متهماً بضلوع أحد رعاياه في الولايات المتحدة، زياد الجرّاح، بخطف الطائرة التي تحطمت في بنسلفانيا، ومن جهة ثالثة، وجد نفسه أمام ملف قديم – متجدد، هو ملف المجموعات الاسلامية التي مارست العنف المسلح على أراضيه خلال السنوات الأخيرة، بعدما تحدث السفير الأميركي الجديد في بيروت فنسنت باتل عن «منظمات ارهابية في لبنان»، واعلانه ان الولايات المتحدة سلمت لبنان وسورية قبل مدة طويلة لائحة بأسماء تلك المنظمات.

وعلى رغم التأكيد اللبناني الرسمي ان بيروت خارج الشبهة والاتهام وليست هدفاً للرد الأميركي، فإن السلطات اللبنانية أظهرت استعدادها للتعاون مع نظيرتها الأميركية في هذا الشأن، مشيرة الى ان «الجهات الأميركية المعنية كانت في صورة التدابير والاجراءات التي نفذت وقت حوادث الضنية (مطلع العام ٢٠٠٠)، والتي أسفرت عن مقتل قائد هذه المجموعات بسام الكنج الملقّب بـ«أبو عائشة» وبعض مساعديه، وتوقيف آخرين بينهم يحيى ميقاتي وسواه ممن بدأت ترد أسماؤهم في ملفات التحقيقات الأميركية بعد تفجير الطائرات».

وبحسب المصادر الرسمية اللبنانية، فإن الجانب الأميركي استفسر مجدداً عن مصير مجموعات الضنية والمراحل التي قطعتها التحقيقات معهم، وأجيب بأنهم ما زالوا موقوفين وقيد المحاكمة، وان لا ظواهر جديدة لمثل هذه التيارات في أية منطقة لبنانية (...) بعدما دفع لبنان في هذه العملية دماً لقاء استئصال هذه المجموعات.

وهكذا عاد ملف حوادث الضنية، بأشخاصه وتنظيماته ومفاعيله، الى واجهة الاهتمامات اللبنانية مجدداً، بفعل الظروف الاقليمية المستجدة، بعدما كانت التحقيقات القضائية قد قطعت شوطاً كبيراً في طيّ صفحاته.

غير ان ملف حوادث الضنية مرتبط، في شكل ما، بملف آخر هو أكثر اتساعاً وأقل معلومات.

وهو ملف «الأفغان اللبنانيين»، او أولئك الشبان المسلمين الذين دفعهم الحماس الديني في أواسط الثمانينات إلى التوجه إلى أفغانستان للقتال ضمن صفوف «المجاهدين» ضد الاحتلال السوفياتي للبلاد.

وتعود قلّة المعلومات المتوافرة عن «الأفغان اللبنانيين» الى المرحلة الزمنية التي عرفت فيها هذه الظاهرة، وهي مرحلة الحرب الأهلية التي كان يتخبط فيها لبنان والفوضى العارمة التي عمّت البلاد على الصعد الأمنية والسياسية والاجتماعية، فضلاً عن سبب رئيسي هو الغياب شبه التام لأجهزة الدولة و«هيبتها» على الأرض آنذاك.

أما ارتباط قضية حوادث الضنية بمسألة «الأفغان اللبنانيين»، فتعود الى كون قائد المجموعات المسلحة في الضنية، بسام الكنج، وبعض مساعديه، من خريجي «التجربة الأفغانية» بامتياز. فما قصة «الأفغان اللبنانيين»؟ ما هي خلفياتهم الاجتماعية وانتماءاتهم السياسية والعقائدية؟ كم عددهم، وما هي أهدافهم؟ أية علاقة تربطهم بالحوادث الدامية التي شهدتها الساحة الاسلامية في لبنان

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

خلال السنوات الأخيرة؟ واي رابط بينهم وبين تنظيم «القاعدة» التابع لإبن لادن؟ ما هو واقعهم، وأين هم اليوم؟

تحاول «الوسط» من خلال هذا التحقيق الاجابة على هذه الأسئلة وغيرها، بعدما استقت معلوماتها من مصادر متنوعة امنية وسياسية ومدنية واسلامية. كما تحاور «الوسط» أحد «الأفغان اللبنانيين» متحدثاً عن تجربته السابقة والواقع الذي يعيشه و«رفاقه» اليوم.

«أبو عائشة» النموذج

يعتبر بسام الكنج الملقب بـ«أبو عائشة»، النموذج الأشهر لـ«الأفغان اللبنانيين». وهو شاب من سكان منطقة القبة الشعبية في طرابلس، ذات الكثافة السكانية. ولد في أسرة تنتمي الى الطبقة المتوسطة، ويعود أصلها الى قرية مشتى حمود في عكار القريبة من الحدود اللبنانية – السورية شمالاً. اما والده فهو المعاون أول في الجيش اللبناني أحمد الكنج، الذي توفي في العام ١٩٨٣.

كان بسام شاباً مغموراً بين أبناء جيله في الحي الذي كان يقطن فيه. ومال إلى التديّن منذ كان يافعاً، من دون ان يمنعه ذلك من متابعة تحصيله العلمي الى ان نال شهادة البكالوريا المهنية في اختصاص الكهرباء. وفي العام ١٩٨٥ التحق بإحدى الجامعات في الولايات المتحدة للتخصص في هندسة الكهرباء، مستفيداً من منحة دراسية من مؤسسة خيرية لبنانية. لكن اهله فوجئوا بعد بضعة أعوام ان ابنهم البكر قرر التوقف عن متابعة تحصيله الجامعي لأسباب «مجهولة». وظل مقيماً هناك حتى بعد حصوله على الجنسية الأميركية بسنوات، ومن دون ان يؤثر ذلك على التزامه الديني المتشدد. وهناك التقى الأميركية مارلين ايرل، فتزوجها بعدما أقنعها باعتناق الاسلام، وارتداء «التشادور» الأسود الفضفاض الذي يغطي كامل الجسد ما عدا الوجه والكفين. وفي ما بعد أصبحت زوجته التي بات اسمها مريم وأما لأطفاله الخمسة.

وظلت فترة إقامة «أبو عائشة» الطويلة في الولايات المتحدة لغزاً لذويه، ان لجهة طبيعة عمله ونشاطه، او لجهة شبكة «العلاقات» التي يُرجّح ان يكون نسجها هناك مع أفراد وجماعات تلتقي منطقياً مع ميوله واتجاهاته السياسية والدينية. وازداد لغز «أبي عائشة» غموضاً عندما اكتشف محيطه العائلي اثر عودته من الولايات المتحدة انه يملك عشرات الألوف من الدولارات التي استطاع ان يبني بواسطتها منزلاً له ولأحد اخوته في قرية «عزقي» في منطقة الضنية، اضافة الى شرائه متجراً في محلة القبة في طرابلس.

وخلال اقامته في الولايات المتحدة كثرت زياراته الى باكستان بحجة المساهمة في توزيع الأدوية والمساعدات على المسلمين هناك. ومنها الى افغانستان حيث انضم الى كوادر «الأفغان العرب». وتؤكد بعض المصادر انه كان بين هؤلاء، قبل نحو خمسة اعوام، عندما آزروا حركة «طالبان» في احتلال العاصمة كابول، الأمر الذي زاد من احتمال ارتباطه بعلاقة ما مع أسامة بن لادن، لا سيما ان «ابي عائشة» كان يتمتع بـ«قدرات قتالية وعسكرية كبيرة، تكتيكية وميدانية»، بالاضافة الى كونه «عسكرياً محترفاً ومحنكاً».

وفي نهاية العام ١٩٩٦، رجع بسام الكنج نهائياً إلى لبنان، حيث استقر مع عائلته، ومارس بعض الأعمال التجارية بعيداً عن الأضواء والشبهات... إلى ان ظهر اسمه الى العلن للمرة الأولى، في مطلع العام ٢٠٠٠، كقائد للمجموعات المسلحة التي اصطدمت دموياً مع وحدات الجيش اللبناني في جرود منطقة الضنية شمالاً، وأودت بحياته وحياة نحو عشرين «مسلحاً متمرداً» وبعض المدنيين بالاضافة الى ضابط وعشرة عسكريين.

بدايات «الأفغان اللبنانيين»

لم يكن بسام الكنج أول لبناني سافر الى افغانستان ضمن قوافل «الأفغان العرب»، وإن بات اليوم اللبناني الأشهر بين هؤلاء. اذ سبقه ولحقه خلال الثمانينات، العشرات من الشبان المسلمين من المدن والمناطق اللبنانية المختلفة، وكشفت التحقيقات القضائية في حوادث الضنية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

أسماء بعضهم، مثل جميل حمود وهلال جعفر وخليل عكاوي وعلي حاتم وأحمد الكسم الذي أعدم في العام ١٩٩٧ بعد ادانته باغتيال زعيم «جمعية المشاريع الخيرية الاسلامية» (الأحباش) الشيخ نزار الحلبي.

وكان بعض هؤلاء يذهب الى «الجهاد» معلناً أمام الأهل والأصدقاء وجهة سفره، في حين كان البعض الآخر يخفي ذلك لأسباب متعددة. كما ان بعضهم كان يسافر مباشرة من لبنان الى باكستان حيث كانت تستقبلهم «مكاتب» خاصة تتولى تجميعهم لتنقلهم بعدئذ ضمن فرق ومجموعات الى معسكرات التدريب داخل الأراضي الأفغانية، ومن ثم الى جبهات القتال الفعلي. بينما كان البعض الآخر يلتحق بـ«أخوانه» من مكان اقامته او دراسته في احدى الدول الغربية، خصوصاً الولايات المتحدة التي كانت تسهّل انتقال هؤلاء الى افغانستان عندما كانت أميركا حليفاً استراتيجياً للأفغان في قتالهم القوات السوفياتية.

هكذا، وابتداء من أواخر العام ١٩٨٤، تطوّع عشرات الشبان من ذوي التعاطف والحماسة الدينيين في اتجاه افغانستان. وتقول المعلومات ان عملية تجنيدهم كانت بتدبير من ابن لادن، وان «بيت خدمات العرب» الذي انشاه الأخير في بيشاور، تعهّد الاهتمام بهم، بإدارة الفلسطيني الدكتور عبدالله عزام، الذي اغتيل في ظروف غامضة في أيلول ١٩٨٩.

وتقول المصادر إن معظم «الأفغان اللبنانيين» لم تتعد أعمارهم، حينذاك، العشرين عاماً على اكثر تقدير، وبالتالي كانوا في مرحلة «المراهقة الفكرية التي يتسم أصحابها بسهولة الاقتناع والحماس الزائد. وهذا ما حدث بالفعل. إذ تمت تنشئتهم وتلقينهم افكاراً تركز على استخدام القوة والعنف للتعبير عن الراي وإحداث التغيير المنشود». وكان يتم تدريبهم على مستويات ثلاثة في الوقت نفسه، هي: التربية العسكرية القائمة على مبدا الطاعة العمياء، والتوعية المخابراتية، والتلقين العقائدي.

نوعيات لا كميات

لا احد يعرف عدد «الأفغان اللبنانيين» على وجه التحديد، لأسباب عدة اهمها ان بعضهم غادر البلاد في عزّ الحرب الأهلية، حيث كانت الدولة في «غيبوبة» واجهزتها الأمنية «شبه معطلة». في حين سافر بعضهم الآخر الى «بلاد الجهاد» (افغانستان) من بلدان غربية عدة، بحكم اقامتهم السابقة هناك. وبالتالي، لا يوجد احصاء رسمي او شبه رسمي لهؤلاء، وان كانت المصادر الاسلامية ترجّح الا يزيد عددهم على المئة – او أكثر بقليل – من مختلف المناطق اللبنانية.

وبحسب مرجع إسلامي لبناني، فإن الشبان اللبنانيين الذين كانوا في عديد «الأفغان اللبنانيين» هم من «العناصر التي لم تستطع الانضباط ضمن اطار تنظيم او حركة اسلامية ما. اي انهم كانوا من أولئك الذين خرجوا عن اطار العمل الاسلامي التقليدي».

غير ان «الأفغان اللبنانيين»، على رغم قلة عددهم، استطاعوا ان يلعبوا دوراً مهماً اعترف به قادة «المجاهدين» من مختلف الفصائل والأحزاب الأفغانية. فقد أجادوا استخدام السلاح، وأصبحوا أهل خبرة في صناعة المفرقعات وعمليات التفجير. الأمر الذي جعلهم ذوي حظوة لدى «قادتهم» الأفغان. كما استطاع بعضهم ان يصل الى مواقع حساسة، وأن ينال الثقة على أعلى المستويات. وتقول المصادر ان احد هؤلاء اللبنانيين، ويدعى وديع الحاج (مسيحي يحمل الجنسية الأميركية أيضاً)، نجح في بناء علاقة وثيقة جداً بإبن لادن، حتى شغل منصب السكرتير الشخصي له طوال سنوات عدة بعدما كان يعمل محاسباً في مؤسسة ابن لادن. وبحسب المصادر نفسها، فإن الحاج كان بمثابة المبعوث الشخصي من طرف ابن لادن لإقرار الدعم المالي والعسكري لعشرات المنظمات الاسلامية المحلية، سواء في آسيا او أفريقيا، فضلاً عن دوره في ابرام صفقات الأسلحة لمصلحة المنظمات نفسها. لكن في العام ١٩٩٨ القي القبض عليه في مدينة دارلنغتون الأميركية.

«القاعدة» اللبنانية

في ٧ آب (اغسطس) ١٩٩٨، تم نسف سفارتي الولايات المتحدة في نيروبي (عاصمة كينيا) ودار السلام (عاصمة تانزانيا). وما هي الا أسابيع قليلة حتى تحدث المحقق الفيديرالي الأميركي دانييل ج. كولمان عن مسؤولية تنظيم «القاعدة» التي يتزعمه إبن لادن في تنفيذ العمليتين اللتين أودتا بحياة ٢٥٨ شخصاً وجرحتا نحو خمسة آلاف آخرين. وكانت تلك المرة الأولى الذي يتردد اسم ذلك التنظيم علناً في الدوائر الرسمية الأميركية. فما هي حقيقة تنظيم «القاعدة»، و«الأفغان اللبنانيين» به؟

يقول المطلعون ان معسكرات «القاعدة» ضمت أعداداً كبيرة من الكفاءات المهنية المختلفة، كالأطباء والمهندسين والمزارعين والسائقين وغيرهم من أصحاب الخبرات الفنية في مختلف المجالات. وكان من الطبيعي أن تنضوي تحت لواء «القاعدة» بعض المجموعات من «الأفغان

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

اللبنانيين» بزعامة محمد العيتاني الذي نال ثقة ابن لادن واعجابه، بعدما التقاه في أفغانستان ودار بينهما حديث عن الثورات في العالم. فانتدبه ابن لادن للعمل داخل أوروبا لأنه يرتبط بعلاقات متينة مع تجار أوكرانيين، بغية الحصول بواسطتهم على المتفجرات والمساعدات لنسف عدد من الأهداف. لكن العيتاني الذي كان انضم الى «قاعدة» ابن لادن في ألمانيا خلال العام ١٩٩٦، وقع في قبضة الأمن العام اللبناني في شباط (فبراير) ٢٠٠٠ بتهمة «التخطيط لضرب المصالح الأميركية واليهودية في الأردن» بحسب ما جاء في القرار الاتهامي الصادر في أيار (مايو) من العام نفسه، والذي يدين مجموعة ابن لادن اللبنانية التي يتزعمها العيتاني، وقوامها عشرة أشخاص كانت السلطات الأردنية قد أوقفت سبعة منهم (غير العيتاني) هم: أحمد العبيدة، محمد حسين، رفيق جمعة، زياد عراجي، سعيد عبدالرحمن، صابرين قمر الدين (زوجة العيتاني)، معروف المصري. بينما ما زال اللبنانيان الآخران (مجهولا الهوية) فارين مع ١٩ عربياً آخر من جنسيات مختلفة مصرية وفلسطينية وأردنية وعراقية وجزائرية. وكان القضاء الأردني أصدر في القضية عينها حكما غيابيا بإعدام مسؤول ميليشيا «فتح» في لبنان العقيد منير المقدح بتهمة الانتماء الى الشبكة السابقة نفسها.

وعلى رغم نفي المقدح (٤١ عاما)، الموجود حاليا في مخيم عين الحلوة الفلسطيني (قرب صيدا)، أية علاقة تربطه بتنظيم «القاعدة» أو ابن لادن، أظهر استعداده «للتعاون مع شرفاء الأمة بهدف زوال الاحتلال الاسرائيلي عن أرض فلسطين»، وأردف في حديثه الى «الوسط» انه «لم يحصل لي، للأسف، شرف أي تنسيق او تعاون مع تنظيم «القاعدة» من أجل دعم المقاومة الفلسطينية وشعبنا هناك». وقال المقدح انه سبق له ان ناشد مراراً أسامة بن لادن بغية توجيه سلاحه في اتجاه الاسرائيليين لمحاربتهم: «نتمنى ان تشارك معنا كل القوى الاسلامية والوطنية في العالم لقتال الاحتلال الاسرائيلي ودعم أهلنا في مواجهته، سواء بتهريب السلاح اليهم او الأموال».

اعترف الذين اعتقلوا من «الأفغان اللبنانيين» بأن تمويل النشاطات التي كانوا يقومون بها، لا سيما المخيمات التدريبية العسكرية، كان يرد اليهم من مصادر مختلفة، منها ما هو داخلي، ومنها ما هو خارجي. أما السلاح فكانت مصادره داخلية.

وأراد بعض «الأفغان اللبنانيين»، من قادة مجموعات الضنية، محاكاة تجاربهم السابقة في أفغانستان على أرض لبنان. وحاولوا استحضارها في اعالي الجبال سعيا وراء «ملك مفقود»، وهو الدولة الاسلامية التي «تهون في سبيلها الدماء والأرواح». كانوا على قناعة تامة انهم ليسوا وحدهم في «المعركة المنشودة». وإن الدعم المادي والمعنوي سيتدفق عليهم حتما من ابن لادن. وان «المجاهدين» الأفغان سيتوافدون بالآلاف لمساعدة المسلمين اللبنانيين على بناء دولتهم الاسلامية.

وتؤكد السلطات الرسمية اللبنانية ان «الأفغان اللبنانيين» الذي حركوا حوادث الضنية او شاركوا فيها، إما هم في عداد القتلى الذين سقطوا حينها. واما هم في قبضة القضاء الذي ما زالت القضية بين يديه. وانه بعد تلك الحوادث الدامية لم يتبين وجود خلايا ناشطة، سواء لـ«الأفغان اللبنانيين» اول لمجموعات «القاعدة» في لبنان. واذا كان بعض الفارين الذين لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة، قد تمكنوا من الالتحاق بالمخيمات الفلسطينية، فإن هذه الأخيرة موضوعة تحت المراقبة الأمنية من جهة، وتعتبر «خطاً أحمر» من جهة ثانية.

على رغم كل ذلك، ما زالت الولايات المتحدة تشير من خلال التصريحات الرسمية وغير الرسمية إلى ان «الأفغان اللبنانيين» لم يندثروا، بل هم مختبئون في «الزوايا المعتمة» من لبنان ودول العالم. وبالتالي فإن الرد الأميركي قد لا يوفرهم، حيثما وجدوا، متى هبّت العاصفة.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية